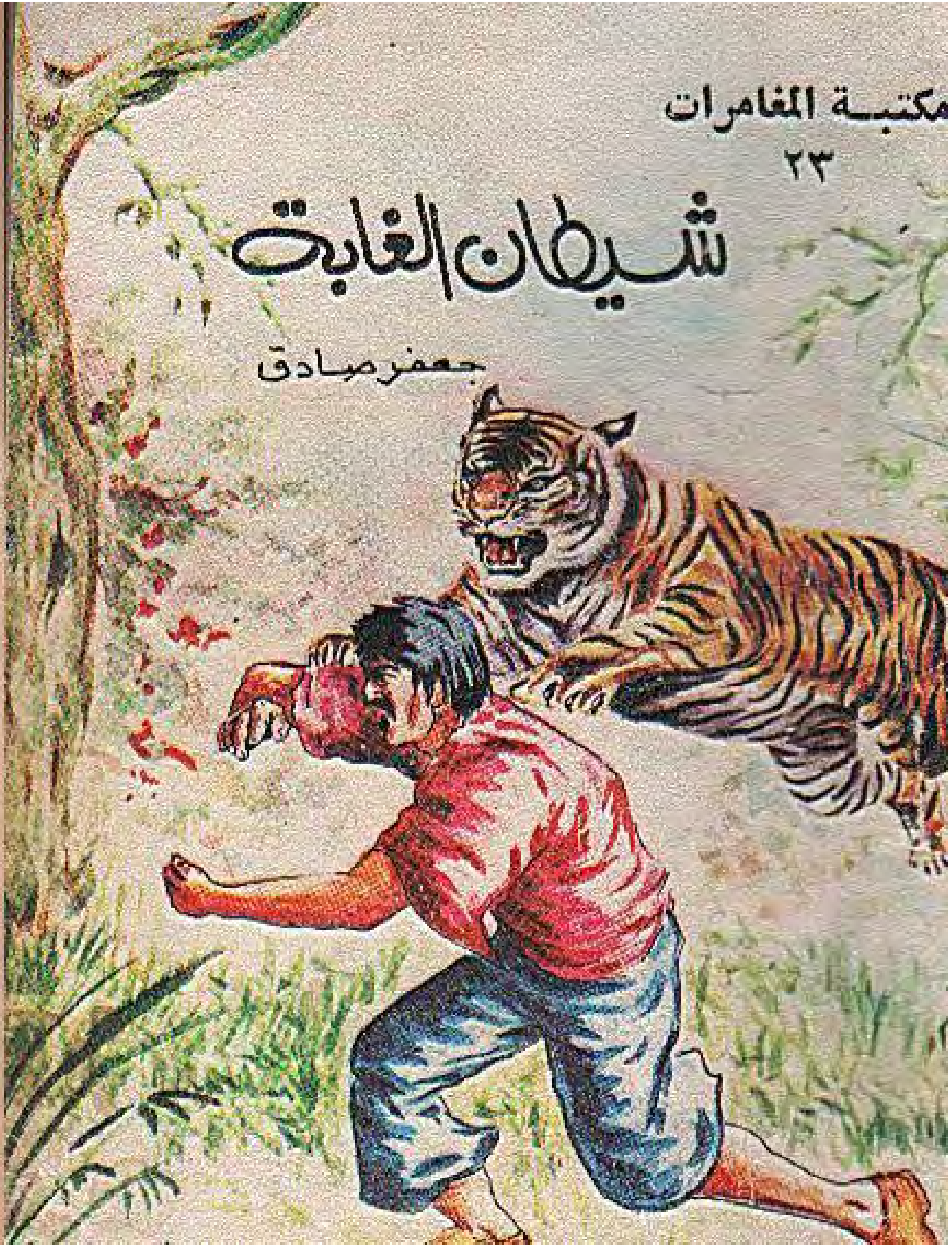


مكتبة المغامرات
٢٣

شيطان الغابة

جعفر صادق

تصميم الغلاف والصور الداخلية

رعد صلال

(١)

لست مجنونا وانما انا صياد اهوى المغامرة واتربص بها مثل تربصي بطريدتي ، حتى تتملكني تماما فاندفع وراءها . يتهمني البعض بالجنون بينما انا مغامر وان يكن بين الاثنين خيط دقيق لا يمكن تبينه الا لمن عشق المغامرة وهوى الجنون .

قبل شهر كان من الممكن ان تنتهي حياتي بين فكي نمر مفترس مثلما حدث لاكثر من اربعين شخصا قبلي قادهم سوء طالعهم الى معدة ذلك النمر الذي قلب هدوء قرية صغيرة الى رعب فظيع وجعل الكابتن براكيش مدير شرطة الولاية يرتعد غضبا وخوفا وهو

يرى الفشل يمسك بتلابيبه فيلجمه عن ايما عمل من شانه ايقاف ذلك النمر عند حده .

ولكنه الحظ أو الخبرة أو شيء اخر جعلني اتنفس حتى هذه اللحظة لاكتب وقائع مغامرتي الاخيرة ، واستذكر تفاصيل اللحظات الحاسمة عندما وقفت وجها لوجه أنتظر مصيري المحتوم لكي يلحقني النمر ببقية ضحاياه ممن ارتضوا الهجرة الى احشائه ضعفاء صاغرين منكوبين ، ولولا شيء من النباهة والتأني في اللحظة الاخيرة وقليل من الشجاعة لما اتيح لي اليوم ان اجلس هكذا أمسك بالقلم لاكتب لان ما حدث لي أمر لا يكاد يصدقه عقلي حتى هذه اللحظة .

(٢)

قدمت الى الهند منذ أربع سنوات ، لم أخلف ورائي في لندن حيث مقر عملي سوى والدة عجوز حرصت أن تصحبني الى المطار وهي تتمتم بادعية وتعاويذ من أجل سلامتي في حلي وترحالي .

والحق انني بذلت مجهودا استثنائيا لدى رئيس تحرير الصحيفة التي أعمل بها لكي ينتدبني مراسلا للجريدة في عموم الهند ، سعيا مني وراء سحر الشرق الذي فتنني بسحره واجوائه وركضا وراء الصيد تلك الهواية التي استحكمت بي حتى ما عدت أستطيع منها فكاكا .

وخلال السنوات الاربع الماضية ، ولدت هنديا خالصا بعدما جبت البلاد من اقصاها الى اقصاها وتعرفت الى اهلها الطيبين وعقدت مع الكثيرين منهم صداقات راسخة ، وكنت لا اتوانى عن تقديم اية مساعدة استطيعها لاي منهم • ومنذ سنتين ارسلتلي الجريدة مصورا فوتغرافيا ، ظل يقاسمني مكتبي وسكني لكنني اخفقت في جعله يشاركني محبتي للصيد وحبي للمغامرة ، لكن صديقي توم بيل المصورالمحترف سرعان ما وقع اسير شباك الملل التي نسجتها حوله وقائع حياتنا اليومية في الهند والتي تختلف تماما عما كانت عليه حياتنا في لندن ، لذا بدأت أعاني من شكوى بيل وتحينه الفرص للعودة الى مقر الجريدة الرئيسي في لندن • غير اننا وبعد مغامرتين خرجنا منهما بموضوعين شيقين أرعبا بيل حصلنا على ثناء رئيس تحريرنا الذي نفحنا بمكافأة ما كنا نحلم بها قطعا . وهذا ما جعل بيل يخفف من شكواه قليلا ، وجعلهيسلم

قياده لي بطواعية شبه كاملة •

ان طريقة تعاملي مع بيل واحترامي ومحبتي الزائدة له جعلته لا يمتنع عن أي طلب اطلبه منه، حتى ولو كان الامر متعلقا باصطياد نمر مفترس ، ولكن السخرية والاعتراض كانا يمهدان دوما لموافقته التي افترضها منه سلفا •

كانت حصيلة تجاربي قبل الان اصطياد عدة نمور • وفي كل مرة أفلح فيها في جندلة نمر جديد كانت تتبلور في رأسي على الفور فكرة رحلة صيد جديدة ، أطرحها على بيل الذي يبادر من فوره الى القول :

– أوه يا عزيزي جاك ، لا يركبنك الغرور ، دع النمور فلربما تمكن احدها منك ، فليس في كل مرة تسلم الجرة •

وفي اخر كادت تصدق نبؤة توني بيل وكاد جاك كربيت الذي هو انا أن يصبح لقمة سائغة في حلق

نمر أرعب قرية بكاملها ، وكاد يطيح بالكابتن براكيش مدير شرطة الولاية ، الذي لم يكن يحبني على الاطلاق لانني لا أجيد الحديث عن نجاحات مزعومة يدعيهـا لنفسه أو على الاقل لا أحسن الخروج بتبريرات يغلف بها فشله الذي ظل يلاحقه منذ ان تسلم مهمته الحالية .

(٣)

كنا في المكتب انا وصديقي توني بيل ، وكنت على وشك الانتهاء من رسالتي الاسبوعية التي تعـودت ارسالها في مثل هذا الوقت الى صحيفتي في لندن ، عندما رن جرس الهاتف ولم يكن من عادتي الاجابة على الهاتف عندما يكون بيل موجودا ، وخاصة عندمـا أكون منهمكا في اعداد موضوع صحفي مثلما أفعل الان . رفع بيل سماعة الهاتف .. ثم نظر الي ..

ــ نعم .. انه موجود ..

مد يده لي بسماعة الهاتف ، وقال :ــ

تفضل هناك من يسال عنك .



رفع بيل سماعة الهاتف ٠٠ ثم نظر الي ٠٠

حدجته بنظرة متسائلة فهز كتفيه وقال :

ـ لا أعرفه ٠

تسلمت السماعة وقلت :

ـ الو ٠٠ نعم ٠٠ انا جاك كوربت من المتكلم ؟

كان المتحدث يتكلم انكليزية جيدة بلكنة هندية ٠

ولم أكن قد سمعت صوته على الهاتف من قبل ، ولكن عندما ذكر لي اسمه تذكرته حالا ، فهو أحد المخبرين الذين يمدونني بالاخبار التي يحرص براكيش على حجبها عنا نحن رجال الصحافة ٠

غير أن ما ذكره لي ذلك المخبر جعلني اصرخ قائلا :

ـ متى ؟ أين ؟٠٠ ٠٠ كيف ؟

شكرا ٠٠ شكرا ٠

وضعت سماعة الهاتف ووقفت واجما ، صرخ بيل :

ـ ما الامر يا جاك ٠٠ ؟

تمتمت بصوت خفيض : أتذكر نمر ميهالـي ؟٠
لقد عاود الظهور أمس وافترس ثلاثة من ابناء القرية٠

ـ ولكن براكيش يدعي بانه قضى على النمر ؟٠
أشعلت لفافة من سجائري ونفثت دخانها فيفضاء الغرفة وقلت :ـ لكنه لم يعطنا برهانا واحدا عنمقتله ٠٠ لقد استغل براكيش فرصة اختفاء النمر لعـدة أيام ، فاطلق واحدة من اكاذيبه وادعى نجاحا مزعوما يعزز به موقفه ٠

ـ ولكن ما الذي دعا النمر الى الاختفاء طيلـة شهر ثم عاود هجومه على القرية ؟ ماذا كان يأكـل طيلة هذه المدة التي لم يبلغ فيها عن ضحايا جدد ؟

ـ انت لا تفهم طبائع النمور يا توني ، فالنمـر لا يهاجم الانسان الا عندما يكون جريحا أو عجوزا . ونمر ميهالي كان جريحا ثم تماثل للشفاء فكف عـن مهاجمة البشر ، وربما عاد وجرح من جديد فدفعه جـوعه الى مهاجمة البشر ٠ جهز كاميراتك فامامنـا

موضوع شيق يوم غد ٠٠

اطلق بيل زفيرا قويا وقال :

ـ اوه ٠٠ نمر اخر ٠٠ اتريدني أن اغـادر هذه الحياة ماسوفا على شبابي ؟!

لم أشعر في تلك اللحظة باية رغبة في ممازحة بيل ، مع أنني كنت استدرجه للمزاح دائما ، فلقـد كان علينا ان نسافر مبكرين الـى قرية (ميهالـي) لتغطية الحادث ، ولابد لنا من نيل قسط من الراحة ٠

• •

تركت بيل يجهز الات التصوير وخرجت نحـــو البيت . وفي الطريق خطر لي أن أشتري احدى صحف المساء . ولقد صعقني مانشيت احدى الصحف الـــذي كان يقول .. (نمر ميهالي يعود ويفترس سبعـــة مـن القرويين بينهم امرأتان ..) . يا للهول عدد الضحايا يرتفع ، ولم أجد في تلك الصحيفة اية تفصيلات اخرى ، بل اقتصر موضوعها على نقل الخبر استنادا الى ناطق باسم الشرطة المحلية .

لذا غيرت اتجاهي فلم اذهب صوب البيت مباشرة بل عرجت على مكتب صحيفة (مهرا) ، التي كانت تنتدبني بين أونة واخرى لاجراء بعض الاستطلاعـات بحكم علاقة الصداقة التي تربطني برئيس تحريرهـــا السيد (راجا) .

وعندما كنت ارتقي سلم الصحيفة ، كانت المغامرة

قد استحوذت علي تماما بعدما استدرجتني الى احابيلها التي لا أستطيع منها فكاكا ، كنت اتمنى أن يقضى على هذا النمر المفترس رأفة بالقرية وابنائها المنكوبين غير ان في نفسي أملا وشوقا لان اكون انا الذي سيطلـق الرصاصة القاتلة الى رأس ذلك النمر ولو اقتضى الامر تأخيرا ليوم أو يومين الامر الذي يمدني بموضوع رائع يجعل رئيس تحرير جريدتي يقفز من كرسيـــه فرحا ويصيح بزملائي :

ـ انظروا كم هو عظيم كوربت هذا ..

طرقت باب السيد راجا .. فوجدته قلقا مضطربا وقبل أن أبادره بالتحية مد يده نحوي ببرقية (تيكر)كان قد تسلمها توا عبر اجهزة الارسال وقال لي :

ـ خذ اقرأ .. أين كنت لقد قلبت الدنيا بحثـا عنك ؟

وقرأت مضمون البرقية الذي ضاعف ارتباكـــي وحيرتي . فلقد كان عدد ضحايا النمر قد بلغ اكثر من

عشرة أشخاص • حتى ساعة ارسال البرقية ، قال لي السيد راجا وهو يشير الي بالجلوس •

ـ ارجوك مستر كوربت افعل شيئا ، كنت اظنك في ميهالي الان ، انك خير من يغطي الحادثة ، فانـا اعرفك صيادا ماهرا مثلما اعرفك صحفيا ممتازا •

رميت بالبرقية فوق مكتبه وقلت :

ـ لم اسمع بالموضوع الا قبل لحظات ، لذا توجهت اليك حالا • اسند راجا ظهره الى مسند كرسيه ثم نفث نفسا عميقا من دخان لفافته وقال :

ـ اخشى ان تكون ميهالي قد غصت الان بجموع الصحفيين الامر الذي قد يفقدنا سبقا صحفيا نحـن بأمس الحاجة اليه •

كنت غارقا في تأملاتي فلم اسمع شيئا مما كان يتفوه به راجا الذي كان يبحث عن ذلك السبق الصحفي الذي سيرتفع بارقام توزيع جريدته ، ثم افقت علـى صوته الاجش وهو يقرع باب اذني

ـ هيه مستر كوربت ماذا تنتظر ؟

رفعت رأسي اليه وقلت :

ـ الطريق الى ميهالي بعيد ، وانا لا اجيـد السياقة ليلا ، غير انني وزميلي بيل سنكون صباحا في موقع الحدث تماما •

ابتسم ـ راجا ـ ونظر الي متسائلا قبـل ان يضيف :

ـ ولكن كيف ستتصرف اذا وجدت الكابتـن براكيش هناك • شعرت بالاضطراب لذكر اسم براكيش الذي لن يسره وجودي هناك ، فاضفت أقول :

ـ سأعرف كيف اتملص منه ، ان لم اكسب وده •

ثم مددت يدي مودعا •

* * *

(٤)

عندما دلفت باب البيت وجدت النور مضـاء فأيقنت ان بيل قد سبقني بالعودة ، وفعلا وجدته فـي الصالة منهمكا في متابعة برنامج تلفزيوني وعندمـا احس بوجودي قال دون ان يلتفت الي :

– عندما لم اجدك في البيت ظننتك اتجهت الـى ميهالي . ربت على كتفه وقلت :

– يا للافكار السيئة ، كيف يمكنني الذهاب بدونك يا عزيزتي ؟

هز بيل رأسه استنكارا وقال :

– لا اعرف سبب اصرارك على تقديمي لقمـة

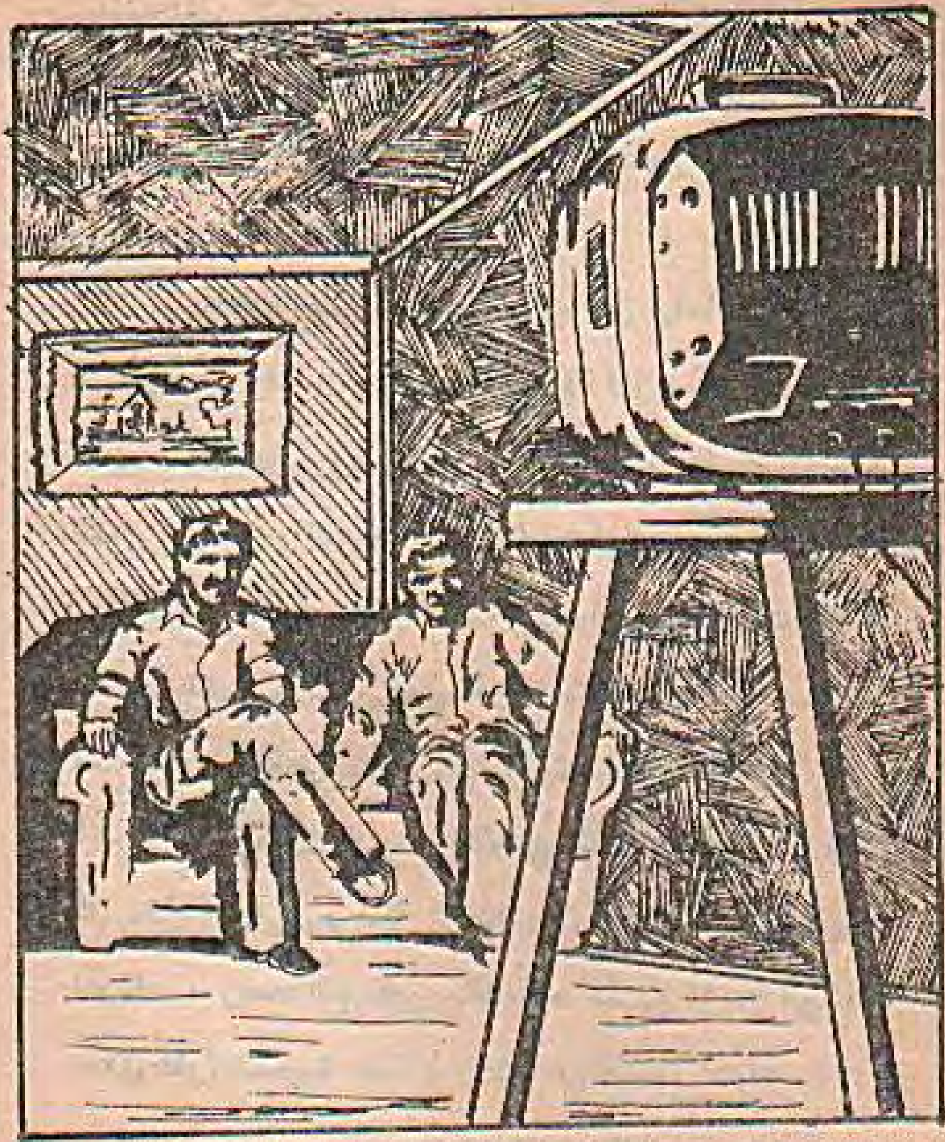
سائغة لنمر لايكاد يسد جوعه لحم ضحاياه .

غمزته ضاحكا وقلت :

– هذا لانني لا احب ان ارحل من هذا العالـم وحـدي .

استلقيت على الكنبه بجانب بيل وامام شاشـة التلفزيون ، وانا اتحرق شوقا لمعرفة المزيد من التفاصيل حول نمر ميهالي وفي نشرة الانباء الرئيسة كان خبـر النمر اول انباء النشرة حيث استضافت العدسة الكابتن براكيش ليتحدث عن المعضلة ولم يكن براكيش – وهذا ما حدسته – مرتاحا على الرغم من انه كان يحـاول اصطناع الثقة والهدوء في حديثه وفي الاجابة عـن الاسئلة . وكان جوابه التقليدي الذي لايحيد عنه فـي كل مقابلة هو : (اننا اتخذنا كل الاجراءات لمجابهـة الموقف ، ونعد الجمهور بالقضاء علـى ذلـك الوحش خلال فترة قصيرة جدا) ..

ولا ادري ماذا كان موقف براكيش وهو يتابـع



استلقيت على الكنبه بجانب بيل وامام شاشـــة التلفزيون ،

النشرة الان فعندما انتهى اللقاء معه ، كان الخبـــر التالي يشير الى ان عدد ضحايا النمر قد بلغ اثنـــي عشر شخصا ·

لم اكن راغبا بعد في سماع المزيد من الانبــــاء فاتجهت الى غرفتي وبينما هممت بالارتخاء علــــى سريري كان بيل يسألني :

– هل ستأخذ بندقيتك معك ؟!

قلت بصوت نعسان: نعم ·

بينما راح بيل يتمتم:

– كنت واثقا باننا سنتجه الى رحلة صيد لا مهمة صحفية ·

لماذا تصر على الانتقام مني ؟

ولم اجبه فقد هاجمني النوم ، فنمت ·

(٥)

قبل ان تشرق الشمس كانت سيارتنا (الجيب) متأهبة للرحلة ، فقد استيقظت مبكرا ونقلت الخيمة وعدة الصيد وبعض علب الطعام الى السيارة ، بينما تركت بيل يغط في نومه .

هرعت الى غرفته وهززته بلطف .

– انهض يا بيل امامنا طريق طويل .

نهض بيل من سريره متثاقلا ، وعندما وجدني ببزة الصيد طار صوابه .

فصاح بي :

– انك بهذه الملابس ستطير صواب براكيش ،

وسيظن بانك تتحداه .

دفعته صوب الحمام وقلت :

– لا عليك انا اتكفل بصديقي براكيش .

دس بيل شعره الكث تحت صنبور الماء وهو يتمتم :

– هيه ، صديقك اللدود ! ولكن هل اعددت شيئا لنأكله

– نعم ، ستجد كل شيء جاهزا في السيارة .

* * *

في الطريق الى ميهالي كان على وانا اقود الجيب ان اتفادى الكثير من الشاحنات والعربات التي يتلاطم بها الشارع الضيق ، وان اضغط على منبه السـيارة لمرات طويلة وعديدة وانا اجتاز القرى التـي تغص بالبشر وقطعان الماشية التي لايروق لها العبور الا والسيارة على مقربة امتار منها . الامر الذي يجعلني انفجر غيضا ، بينما كان بيل يلتقط صورا للمعالم الطبيعية والاثرية التي يحفل بها الطريق المتجه الى ميهالي بينما فكاه لايتوقفان عن ازدراد شرائح اللحم التي كنت قد اعددتها لسفرتنا ، لم اشأ ان اقاطعه كي لا اضاعف وساوسه ، فقد كنت احسه متوترا بعض الشيء ، ولكي اقطع ملل الطريق اردت ممازحته فقلت :

– وفر لنا شيئا من الطعام ، فانا اخشـى ان تلتهمني عندما لاتجد امامك شيئا تاكله .

ويبدو ان مزحتي قد اتت برد فعل معاكس تماما ، فقال لي منهمكا :

– اطمئن لن احرم النمر من لحمك الشهي ! .

اثرت الصمت مرة اخرى كي لا افزز فيه ايـة مخاوف اخرى فانا اعرف تركيبة صديقي بيل النفسية الى حد كبير ، فهو احيانا يحرن مثل بغل ويظل يماطل ويسوف قبل ان ينقاد لي ويطاوعني خصوصا عندما يتعلق الامر بنمر ارقط ازهق حتى الان أرواح عدد كبير من القرويين البائسين .

وفي الطريق الى ميهالي حصلنا على نسخ من جرائد الصباح ، واكتشفنا وذلك امر يبعث على الدهشة والمرارة ان حكاية النمر ليست جديدة فقد ذكر احـد المراسلين ان النمر عاود الظهور منذ اسبوع مضـى وظل يبطش بالضحية تلو الاخرى وان براكيش كـان يتكتم على اخبار النمر وعدد ضحاياه ، ولكن الامر افلت من يده يوم امس عندما وصل عدد الضحايا حدا لايمكن السكوت عنه فاثر ان يفضي بنصف الحقيقة عندما شاع خبر الكارثة وظل يتردد في ارجاء البـلاد

بأسرها ، شعرت بضيق كبير اذ كان علي ومنذ الان ان اجند نفسي لمقاتلة عدوين احدهما نمر ارقط اضطرته غرائزه وتشبثه بالبقاء احيا الى مهاجمة قرويين ضعفاء ونمر اخر يرتدي بزة الشرطة يحاول ايجاد تبريرات لسلسلة من الاخفاقات ظلت تطارده منذ ان تسلم منصبه ، وهو الان مهدد بترك منصبه منذ ان استعانت السلطات في حادث مماثل بصياد نمور محترف جندل النمر في مكانه بينما لم يحرك براكيش ورجاله ساكنا .

ولعل مرارة ذلك الفشل مازالت تحكم افعال براكيش الذي الى على نفسه الا يحب منذ تلك اللحظة صيادا محترفا او صحفيا مشاكسا مثلي . وتعهد في قرارة نفسه ببث العيون من حولي ووضع الحواجز امامي كلما باشرت تحقيقا صحفيا تكون للشرطة دور فيه . وكلما قلبت الامر في رأسي وجدت ان مهمتي مع النمر الابيض الارقط ستكون هينة ازاء ما ستكون عليه

مع براكيش ، الذي لابد ان يكون الان قد طوق القرية بجيش من رجاله يمنعون دخول الغرباء اليها .

(٦)

لقد مضى علينا قرابة الساعتين منذ ان غادرنا المدينة وهاهي تلال ميهالي تلوح الينا من بعيد ، شاهقة خضراء مكللة بالاشجار الكثيفة العالية · التي تخفي تحت اغصانها بيوت القرية الجبلية الصغيرة المتناثرة على احد سفوحها ·

صرخ بي بيل وهو يشير الى حاجز شرطة يقطع الطريق على مشارف القرية :

ـ انظر ، انهم رجال براكيش ·

شعرت بضيق لذلك ، فخففت سرعة السيارة تدريجيا ، حتى توقفت ازاء الحاجز فتقدم الينا احد

رجال الشرطة وقال :

ـ عفوا يا سيدي ·· الى اين تريدان ؟

اجبت ـ الى ميهالي ··

هز رأسه ممانعا وقال :

ـ لابد انكما لم تطالعا الصحف منذ ايام ·

تظاهرت بالجهل وقلت ··

ـ لا ·· ترى ما الذي حدث ؟·

اجاب الشرطي ، تعرضت ميهالي الى هجوم نمر مفترس ·

وراح يقص علي القصة باكملها وانا اتصنع الدهشة والاسف ···

قلت ـ اذن لايمكننا الذهاب الى الصيد ؟!

قال الشرطي لا ·· انها اوامر براكيش ·

حاولت ان العب معه لعبة اخرى فصحت بسرور ·

ـ من براكيش صديقي اين هو الان ارجوك ان

توصلني اليه الان ٠

ظننت ان اللعبة قد انطلت عليه ، فقال :

ـ حسنا ، ولكن ارجوكما ان ترياني بطاقتيكما ٠

وبتردد مددت يدي الى جيبي ومددت له يدي ببطاقتي ، الذي راح يحملق فيها ثم اعادها الي باسما٠

ـ مستر كوربت اسف ، انك ممنوع من دخول القرية ، هكذا امرنا الكابتن براكيش ٠

لم يبق لدي ادنى شك بأن براكيش قد ادرج اسمي في قائمة المشاغبين الذين يتوجس منهم شرا فعمم اسمي على كل النقاط المؤدية الى ميهالي ، استدرت بالسيارة عائدا الى قرية مجاورة ، بينما لمحت ابتسامة تشف تنز من شفتي صديقي توني الذي قال :

ـ حمدا لله الذي اضاف لعمرنا يوما اخر ٠

كززت على شفتي غضبا وقلت ٠٠

لن اياس ، سنعود الى القرية المجاورة ونراقب ما يحدث ٠

* * *

في القرية المجاورة وكانت واسعة كبيرة نوعما ٠ لم نجد انفسنا وحيدين ، فلقد اكتضت شوارعها ومقاهيها بعدد غفيرمن رجال الصحافة والسواح ومراسلي الاذاعة والتلفزيون ٠

نصبنا انا وتوني خيمتنا عند ضفة النهر بعيدا عن صخب الصحفيين وجدلهم الذي لاينقطع وبقينا في حالة تأهب وانتظار ٠

لم تكن ميهالي بعيدة من هنا ، لكن الوصول اليها عبر اي طريق غير طريقها المعبد يكون مجازفة لا احد يتكهن بنتائجها ، فهي شبه مطوقة بالجبال والغابات ، بينما يكون النهر المنحدر منها باتجاه هذه القرية عميقا سريع الجريان يمر بمساقط ومنحدرات حادة ٠

فكرت بالاستعانة بزورق بخاري للتسلل الى ميهالي عبر النهر ، لكنني سرعان ما استبعدت الفكرة فمن اين نأتي بالزورق اولا ، واذا حصلنا عليه فمن

يضمن لنا عدم اثارة انتباه الشرطة والصحفيين الذين اهلكهم الانتظار واجهزت على بقايا صبرهم اجراءات براكيش المزعجة وعيونه الكثيرة التي بثها في اثرهم ، ناهيك عن حدة المساقط المائية التي قد تحطم اعتى الزوارق واقواها .

قضينا تلك الليلة اللعينة داخل خيمتنا ،وفي الحقيقة لم يغمض لي عين ، فالمكان لم يكن امنا ، وسيارتنا المحملة بما لذ وطاب قد تشكل هدفا مغريا للصوص والجائعين ، كذلك كانت القرية ملاذا نموذجيا للافاعي الهندية السامة ، ولكي لا ازيد من مخاوف صديقي بيل ، اثرت ان اكتم على مخاوفي هذه ، فاستلقى على فراشه السفري وراح يغط في نوم عميق .

وفي الصباح لم اشأ ان اوقظ بيل ، الذي كان يعد النوم واحدة من اجمل هواياته ، ثم انني كنت في غنى عن خدماته هذا الصباح ، فخرجت من الخيمة



قضينا تلك الليلة اللعينة داخل خيمتنا

وتسللت الى ضفة النهر وبدأت اتتبع تلك الضفة صعودا نحو ميهالي وبدا لي الطريق في امتاره الاولى سهلا مغريا بالسير ، بيد ان تعرجه وانحناءاته المتكررة لم تتح لي التعرف الى طبيعته تماما ، وخصوصا في منتصفه ونهاياته ، لكنه كان يوصلنا الى ميهالي وعلى هذا الاساس وظننت نفسي فعدت الى الخيمة مسرعا ، وشرعت اوقظ بيل على عجل ، وتركته يتململ في مكانه بينما شرعت في اعداد ابريق من القهوة وشطيرتي لحم تسكت بهما بعض جوعنا .

— انهض يا بيل كي لاتبرد القهوة .

اعتدل بيل في مكانه ومد يده نحو القدح المركون بجانب فراشه وقال : ماذا علينا ان نفعل اليوم ؟.

— سنصل الى ميهالي حتما .

عب قدحه كاملا وحدجني بنظرة متسائلة وصرخ :

— تبا لك يا جاك ، اما زلت مصمما على خوض المغامرة ؟.

صببت له قدحا اخر وقدمت له احدى الشطيرتين وقلت :

— اسمع يا صاحبي ، ارأيت زملاءنا المتسكعين في شوارع هذه القرية ، انهم يبحثون عن مادة صحفية جاهزة ليرسلوها الى صحفهم ، لكنهم لن يحصلوا على شيء باستثناء اكاذيب براكيش ما داموا يصرفون اوقاتهم بالتثاؤب والثرثرة ، ان كل موضوعاتنا السابقة جعلت صحيفتنا في المقدمة دائما ، لاننا كنا نخوض المصاعب ، ثم اننا نتسلم رواتب عالية من صحفنا .

كان بيل يصغي الي بانتباه ، واحسست ان كلامي بدأ يداعب وترا حساسا في داخله ينسيه كل مخاوفه وقلت :

— في الغد عندما تجد صورتك واسمك على الصفحات الاولى من جرائد الصباح لن تلومني عما اقدمنا عليه .

* * *

(٧)

تركنا خيمتنا في محلها بعدما ادخلنا حاجياتنا الى داخل السيارة واقفلنا ابوابها . ثم حملنا امتعتنا . كان معي بندقية صيد جديدة وحقيبة يدوية متوسطة دسست فيها بعض الطعام ودفترا صغيرا للمذكرات . فيما تسلحت بحربة حادة علقتها في حزامي الجلدي بينما حمل بيل حقيبة كاميراته وحقيبة مشابهة لحقيبتي ونزلنا الى ضفة النهر واخذنا نتتبعها بالاتجاه المعاكس. وشققنا طريقنا نحو ميهالي .

كانت الامتار الاولى من الطريق مثلما توقعـ

سهلة مطاوعة لاقدامنا ، وكان الساحل المغطى بالحصى وفتات الصخور المتساقطة يعيننا على السير ، غير ان ذلك الساحل كان يضيق شيئا فشيئا وبدأت اشجار الغابة المحاذية تزحف نحو الضفة كلما تقدم بنا الطريق صعودا ، ويبدو ان الطريق قد استحوذ على اعجاب بيل فراح يترنم بنغم اغنية جميلة كانت في وقت ما من اغانينا المحببة ، وبين اونة واخرى كانت كاميرته تطقطق ملتقطة صورا لطيور برية جميلة استثارتها حركاتنا التي ظلت تشرخ صمت الغابة الثقيل . التفت اليه وقلت مداعبا .

– هيه . اياك أن تجهز على كل الافلام فلا تبقي لنا صورة نسجل بها نهاية النمر المفترس .

قهقه بيل عاليا واجاب بسخريته المعهودة .

– اطمئن ياصاحبي عندي من الافلام مايكفي لتتبع جسدك وهو يغيب في احشاء النمر .

ضحكت وجاريته في سخريته :

ـ اذن لاتنس أن تبعث بتلك الصورة الـــــى والدتي ·

ـ لن انسى طبعا ، ومن المؤكد انها ستبكي ليس على مصيرك بل لانها أنجبت فتى مجنونا مثلك · حثثت خطاي وضاعفت من سرعتي وانا اصيح ··

ـ أن أكون مجنونا خير لي من ان أكون جبانا ·

أحسست بخطى اقدام بيل تلاحقني وصوت لهاثه يقترب من اذني حتى امسك بياقة قميصي فاستدرت اليه فاذا به يواجهني بملامح متشنجة غاضبة وصــرخ في وجهي ·

ـ هيه لست جبانا مثلما تظن ، انا اشجــع منك ثم انطلق يعدو أمامي نحو المسلك الضيق الذي يقطع الغابة التي باتت تلاصق ضفة النهر تماما وكان يتمتم

ـ سأثبت لك يا كوريت بانني لست جبانا ·

لا أعلم كم قطعنا من مسافة الطريق وحســـب

الخارطة المرجودة عندي ، ضمنت باننا بتنا علـــى مشارف ميهالي . وظل بيل يتقدمني وكانت الشقـــه تزداد بيننا بعدها تباطات في سيري بعدها بدأت ساقاي تؤلمانني ، قليلا ، فانا لم أتعود المشي مسافات طويلة انما كانت (الجيب) التي تركناها خلفنا لاتفارقنـــي في كل رحلاتي وبدأت اغصان الغابة تزداد كثافة حتى كادت اغصانها المتشابكة أن تحجب ضوء الشمس عنا ، أما الممر الذي كنا نسلكه والذي حرصنا أن يكون موازيا للنهر ، كي لانضيع الطريق ، ذلك الممر قـــد بدأ يضيق بحيث لم يعد يكفي لمرورنا الا بصعوبة بالغة. لذا تباطأ بيل في سيره المترنح واخذ يتفـادى جـذوع الاشجار واغصانها الكثيفة التي بدأت تسيج الممـــر الملتوي ·

لم تعد ساقاي تحملانني ، فصحت :

ـ توني ، انتظر بالله عليك ، ودعنا نرتح قليلا

استدار بيل نحوي ثم برك في مكانه فارتميت خلفه وسددنا بجسدينا الممددين ذلك الممر ، بينما بدات يدا بيل تعبثان بمحتويات حقيبته فأخرج منهما شطيرتين وزمزميه ماء ، بينما حرصت على أن تكون بندقيتي الى جانبي فارقدتها بمحاذاة ذراعي الايمن بعد ان حشوتها باطلاقه وجعلتها جاهزة للعمل تحسبا لاي طارىء ذلك لان خبرتي في الصيد علمتني بأن الغابات الهادئة هي اكثر الغابات خطورة ، فالصمت يخفي وراءه دائما دويا هائلا ·

وبينما كنت ازدرد بقايا الشطيرة التي قدمها لي توني راحت أذناي تمشطان الصمت الذي يلفنا ، ولا اعرف لم فعلت ذلك بتلقائية لعلها الحاسة السادسة او رائحة الخطر التي يتحسس لها منخراي كلما احاقت بي او كاد يباغتني الخطر·لقد التقطت اذناي صوتاالايكاد يسمع لكنني استطعت ان أتنبه ، فورا فالتقطت البندقية

بينما ظل بيل مستلقيا ، غير عابيء بشيء ولانني خشيت من اثارة مخاوف بيل فلم احاول ان انبهه الى شيء مما أحسه · بينما كانت عيناي لاتستقران في محجريهما بحثا عن الافعى ذات الاجراس التي سمعت صوتها وخمنت انها قريبة منا ولابد انها تتربص بأحدنا لان · وعندما التفت الى بيل الذي كان يسند راسه الى جذع شجرة عالية وجدت الافعى تتدلى مع الغصن وهي تزحف ببطء وحذر نحو راس بيل · لم يكن امامي غير ثوان قليلة ، قررت الا أضيعها في تنبيه توني الى الخطر المحيق به فقد صوبت بندقيتي الى راس الافعى الذي لم يكن يبعد عن راس توني الا مسافة شبرين واطلقت فجندلت الافعى في مكانها فوق راس بيل الذي قفز من مكانه مرعوبا وصاح بي بهستيريا :

– كوريت ، ماذا يجري بحق السماء ، ان هذا ليس وقتا للمزاح ، كدت تطيح براسي ·



صوبت بندقيتي الى رأس الافعى

سحبت نفسا عميقا محاولا السيطرة على مشاعري التي أتلفها القلق ثم أشرت بيدي الى الجذع حيث تدلت الافعى ، وعندما نظر اليها توني تسمر في مكانه وظل يحملق فيها مدهوشا فقلت له :ــ كانت على مقربه شبرين من رأسك ياتوني ٠

وما أن سمع توني جملتي الاخيرة حتى قفز من مكانه وبخطوتين وجدته يقف خلفي وهو يهزني بعنف : الم اقل لك ان مهمتنا خطرة علينا ؟٠

ثم اضاف بصوت تشوبه نغمة توسل ورجاء ٠

ــ هلم نرجع الى القرية ، ياعزيزي ، مالنا ومال النمور ٠ هززت رأسي نفيا وقلت باصرار :

ــ الان أصبحت اكثر تشبثا بمهمتنا ٠

ــ لماذا ؟

ــ لقد تعودت في كل مرة اخرج فيها الى الصيد ان ابدا يومي بقتل أفعى ، اعتقادا مني أن ذلك يجلب لي الحظ اما هذه المرة فلقد سعت الينا الافعى

بنفسها ·

ـ هراء ·· انها مجرد خرافات وأوهام ·

ـ قد تكون خرافه حقا ، اما انا فأجد في ذلك فالا حسنا ·

حملنا امتعتنا وعاودنا السير ثانيةبعدما بارحتني الام قدمي ، وكان علينا ان نضاعف من سرعتنا هذه المرة قبل أن يدهمنا الظلام فلا نجد مكانا نأوي اليه غير الغابة ، وعند العصر وقبل ان تبتلع السماء قرص الشمس تماما لاحت لنا ميهالي التي بدت شوارعها خالية تماما باستثناء سيارة شرطة كانت تروح وتجيء في شوارع القرية الجبلية ·

لبثنا في مكاننا زمنا ليس طويلا ، حتى اذا ماغابت السيارة عن أعيننا هرعنا الى اقرب بيت من بيوت القرية وقرعنا بابه ·

فتح لنا الباب شيخ تبدو على وجهه ملامح الهلع والاضطراب وعندما فهم باننا جئنا للقضاء على النمر

المفترس رحب بنا واصطحبنا الى داخل كوخه البسيط حيث وجدنا زوجته وابنته الشابة تقبعان في زاوية مظلمة من زوايا الكوخ ·

القينا امتعتنا وسط الباحة ثم جلسنا أرضا مسندين ظهرينا الى جدار الكوخ الحجري ، بينما راح الشيخ وعاد لنا بعد قليل بعشاء بسيط وابريق شاي ساخن ··

امضينا ليلتنا في ضيافة الشيخ العجوز الذي أفهمنا بان النمر كان قد افترس ابنه الوحيد ، وان الشرطة تستعين الان بصياد نمور محترف ، ينصب الان كمينا للنمر في مكان ما من الغابة ، واستطعنا ان نحصل منه على معلومات تفيدنا فيمهمتنا بعدما بث وجودنا في نفسه شيئا من الطمانينه التي افتقدها منذ أن عاود النمر ظهوره في ميهالي بعد غياب طويل·

كان علينا صباح اليوم التالي أن نراوغ رجال

الشرطة ونتسلق الجبال المشرفة على ميهالي ، حيث تعود النمر ان يلجأ الى اشجارها الكثيفة كلما حظي بصيد ثمين ، خرجنا من كوخ الشيخ قبل ان تشرق الشمس وتسللنا عبر الحقل الذي يقع الكوخ على اطرافه ، وتبدت لنا الحقول خالية تماما ، فمن يجرؤ على الخروج من بيته في هذه الساعة ؟! ، الجميع هنا فضل الاعتصام بالبيوت خصوصا وان النمر كان قد التقط احد ضحاياه من هذا الحقل وفي وضح النهار وبدانا نقطع الحقل باتجاه الجبال ، لكن شيئا ما جعلنا نرتمي ارضا ونحاول اخفاء راسينا بين الحشائش العالية . ذلك أن دوريه الشرطة كانت قد مرت عبر الشارع الواقع اسفل الجبال ثم توقفت هناك وسمعت صوتا يناديني بأسمي .

ـ مستر كوربت . اخرج من هنا ، لن تجديك الا عينك هذه نفعا .

يالحظي السيء ، هذا هو براكيش بصوته الاجش ووجهه المتجهم محاطا باثنين من رجاله التفت الى توني خلفي كمن يحاول ان يستنجد فوجدت ابتسامة ساخرة ترتسم على وجه توني ، نهضنا ثم تقدمنا نحو براكيش ، وحاولت ان اكسر حدة توتره لكنه كان قد بادرني بصوت حازم :

ـ في المرة القادمة سامر بوضعك في السجن .

ـ لم افعل شيئا ايها الكابتن .

ـ حفاظا على حياتك وحياة صديقك المسكين هذا .

ـ شكرا سيدي الكابتن ولكنك كما تعلم باننا صحفيون نطارد المتاعب .

ـ انكم لاتبحثون عن المتاعب لانفسكم ، بل ترمونها علينا نحن رجال الشرطة .

ـ عفوا سيدي ولكننا لاننكر جهودك في المنطقة وكيف استتب بها الامن منذ أن تسلمت مسؤوليتها .

ويبدو ان لعبتي لم تنطل عليه فقد قهقه براكيش وقال :

– هذا كلام مراوغ سيد كوريت ، أنك نفسك لاتنكر كم هاجمتني في المرة السابقة بقسوة لامبرر لها .

وقعت في قبضة براكيش وها هو يحاصرني في زاوية ضيقة محاولا الانتقام مني ، ان غضبه وسخريته تلجمني عن التفكير بأية اعذار يمكن ان تنطلي عليه .

فلقد هاجمته بقسوة عندما أخفق في مرة سابقة من القضاء على عصابة من اللصوص الامر الذي جعله تحت مطرقة اللوم والتعنيف من لدن رؤسائه بحيث اضطروا الى الاستعانة بضابط شرطة شاب من ولاية أخرى تمكن من القضاء على العصابة .

ويبدو لي أن براكيش بحاجة الان الى احراز اي

نجاح مهما كان صغيرا ليعزز موقفه عند رؤسائه ، لهذا اضطر الى فرض جدار من السرية والتعتيم على محاولاته ومخططاته للايقاع بالنمر الارقط .

أشار الينا براكيش أن نستقل السيارة معه . وجلس هو الى جوار السائق ثم التفت الي وقال :

– سيخرجكما السائق الى خارج ميهالي وحذار من العودة اليها ثانية ، انكما تفسدان علي خططي .

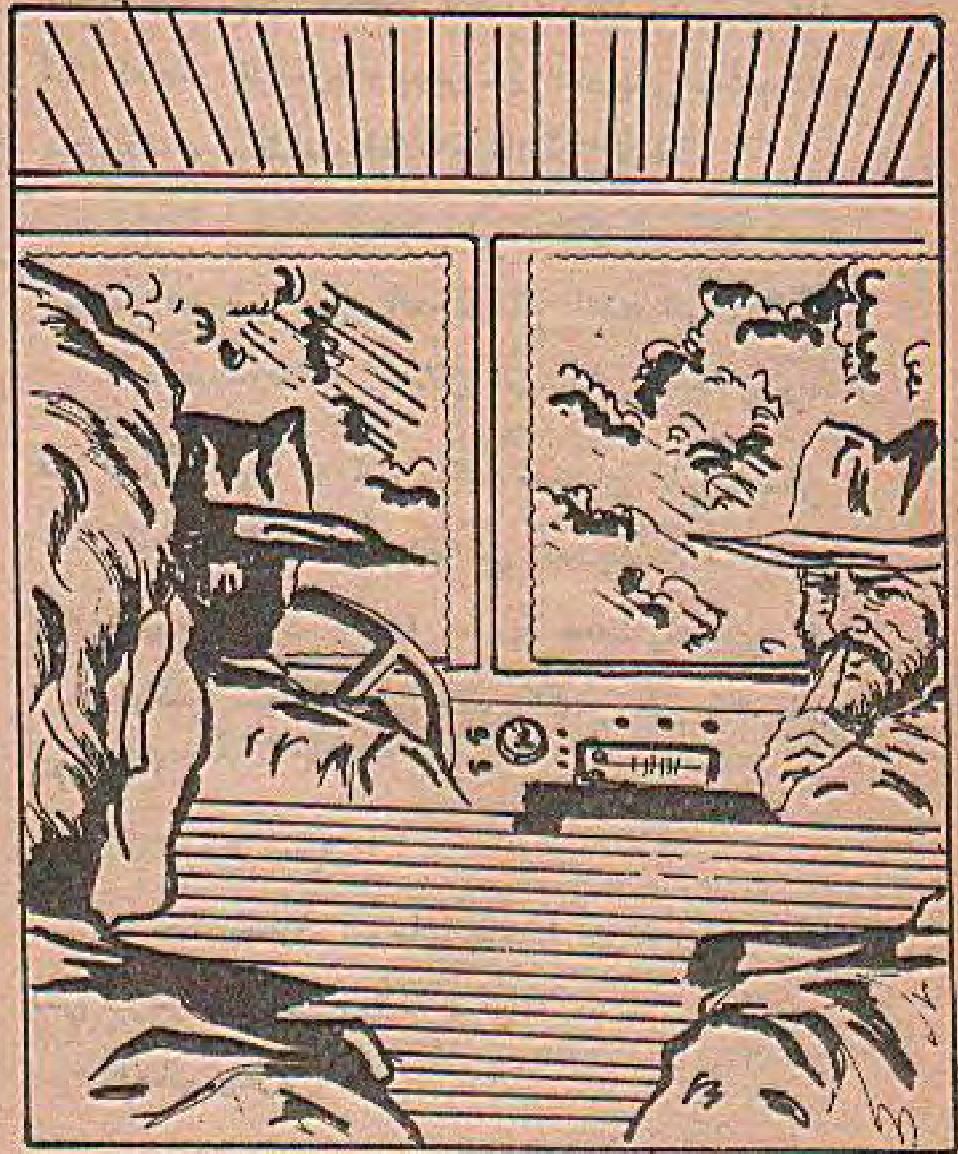
قلت محاولا استدراجه الى الحديث بهدف الحصول منه على معلومات جديدة :– اية خطط ياسيدي ؟!

وضع سبابته على فمه واشار الي بالسكوت ثم قال :

– هذا لا يعنيك .

صحت بضيق :– ماذا يمكننا ان نفعل يا كابتن لكي نبرهن لك على سلامة نوايانا .

اجاب بحزم :



وضع سبابته على فمه واشار الي بالسكوت

– لا شيء سوى الابتعاد عن القرية وتركنا نعمل بهدوء

– ولكنني صياد ويمكنني تقديم العون ·

هز براكيش رأسه ممانعا وقال :

– لا بد انكما علمتما بانني كلفت صيادا محترفا، للقضاء على النمر وهو ينصب له الان كمينا بمساعدة رجالي ·

كان توني يراقب حديثنا من غير ان ينبس ببنت شفة · ولعله كان مسرورا لما ال اليه مصيرنا ، تعسا له من صديق ·

وقبل أن نترجل من السيارد حاولت أن ابـــذل محاولة اخيرة لدى براكيش لثنيه عن طردنا ، فقلت لــه :

– دعنا نبرهن على حبنا لك ·· مد لنا يد العون وسنساعدك

لوح لنا راكيش بيده مودعا وهو يزأر بصوته

الاجش :

– عندما المس حسن نواياك سيكون لنا حديث اخر ، من يدري ؟ ربما نصبح أصدقاء يا كوربت !٠

عندما ايقنت ان معجبري يسير بالاتجاه الصحيح وان ما عزمت عليه سيكون مفتاح نجاحنا ، فلقد بت على ثقة بان براكيش المجروح كان بحاجة الى شيء ما يبث العزم في نفسه ويرمم معنوياته المتداعية ويدعم موقفه عند سلطات الشرطه المركزيه ٠ وخصوصا اذا ما جاءه ذلك الدعم من صحيفة مؤثرة وواسعة الانتشار مثل صحيفة (مهر) التي كنت اكاتبها ، بين فترة واخرى ولابد ان رئيس تحريرها السيد (راجا) ينتظر الان على أحر من الجمر تقريري عن الحادث ٠

– ٨ –

عدنا الى القرية بخفي حنين فوجدنا خيمتنا وسيارتنا في محلهما ، طلبت من توني أن يستقل السيارة ليجلب لنا شيئا من الطعام وانزويت داخل الخيمة لاكتب تقريرا صحفيا حرصت فيه ان اذكر الجهود المبذولة من قبل براكيش دونما زيادة أو تملق تتعارض مع مباديء المهنة ، وللحق فان براكيش لم تكن تنقصه الهمة ولا الحماس بقدر ما كان ينقصه الذكاء وحسن التصرف الذي يضيع كل جهوده في نهاية الامر ٠

وعندما عاد توني ناولني رزمة من الصحف فلم اجد فيها شيئا جديدا ، لكن توني انباني بأن ثمة اشاعة

تدور بين الناس في القرية ومفادها ان الصياد المحترف الذي استعان به براكيش قد اصبح رقما يضاف الى ضحايا النمر .

ابتسمت في سري وحاولت ان اتخيل منظر براكيش وهو يتلقى النبأ ، لابد انه يصب جام غضبه على رجاله ، راجعت التقرير مرة ثانية واضفت اليه فقرة تطالب بتعزيز قوة براكيش برجال آخرين ، ثم انطلقت الى القرية واتصلت هاتفيا بالسيد " راجا " طالبا اليه نشر تقريري الذي امليته هاتفيا لانه يشكل جزءا من خطتي في مطاردة النمر .

في الصباح الباكر حملنا كل عدتنا ووضعناها داخل صندوق السيارة ، جلس توني خلف مقود السيارة ، توجهنا الى القرية وامكننا ان نحصل على الصحف الاولى مع صورة كبيرة للسيد براكيش يبدو فيها مبتسما على غير عادته فلكزت توني في خصره

وانا الوح له بالصحيفة .

ـ ترى كيف حال صديقنا براكيش الان ؟

ـ لابد انه يرقص طربا .

ـ اكيد ، فلربما كان هذا الموضوع الصحفي الوحيد الذي تجنب مهاجمته .

ـ هل تعتقد يا جاك بان لعبتك هذه يمكن ان تنطلي على ضابط شرطة عجوز مثل براكيش ؟

صمت قليلا ، رميت الجريدة الى جانبي وقلت :

ـ الحقيقة انني بدات ارثي لحال هذا الرجل . فهو لا ينقصه شيء سوى الموهبة وعلينا ان نساعده .

ـ الى اين نتجه الان ؟

ـ الى ميهالي طبعا .

ضرب توني بيده على مقود السيارة وصاح ضجرا .

ـ ميهالي مرة اخرى ؟

ـ نعم ، اعدك باننا لن نكون في خطر .

– اذن لماذا تصر على اصطحابي معك ؟

– لكي تصور النمر طبعا ·

– وكيف يكون الخطر اذن ؟

– لا ·· هذه المرة ستصوره وهو ميت ·

هز توني كتفه غير مبال بكلامي ثم ضغط على دواسة البنزين فانطلقت بنا السيارة تنهب الطريق الى ميهالي · فقطعناه في ساعة ونصف ، وعند حاجز الشرطة الذي اوقفنا في المرة السابقة ، توقفنا هذه المرة ايضًا ، ولم نكن مضطرين هذه المرة للتستر على هويتنا ، لكن الشرطي الذي منعنا من الدخول في المرة السابقة ، عاود ممانعته هذه المرة ايضا ، متسلحا بجملته اليتيمة التي لايحيد عنها ابدا :

– اسف يا سيدي ، انها اوامر الكابتن براكيش ·

مددت له يدي بجريدة (مهرا) واشرت الى صورة رئيسه فحملق فيها ثم حول نظره عنها وهز راسه بادب جم ·

– ومع ذلك لا استطيع السماح لكما بالدخول ·· انها اوامر وقبل ان يتم جملته التي باتت تستثيرني قاطعته قائلا :

– هل يمكننا الاتصال لاسلكيا بالكابتن براكيش ·؟

اومأ براسه موافقا ثم اصطحبني الى حيث تقف سيارة الدورية الى جانب الطريق ، ثم التقط سماعة الجهاز وطلب براكيش ·· واستطعت ان التقط صوت براكيش الاجش عبر الجهاز ·

– دعهما يدخلان ·

اشار الشرطي الى زميليه بان يفسحا المجال لسيارتنا بالدخول ··

وقال – تفضلا ·· ان الكابتن بانتظاركما داخل القرية ·

كدت اطير فرحا ، فها هي مهمتنا قد بدأت تسهل ، واحسست ان متاعب اليومين الماضيين قد تبخرت اثر موافقة بركيش على دخولنا ميهالي · ضربت ظهر

توني بباطن كفي وقلت :

ـ هيا يها السائق الماهر ، ارني مهارتك ٠

ادار توني محرك السيارة ، وانطلق بسرعة جنونية كادت ان تجمد الدم في عروقي ولم يكن توني يكلف نفسه بتخفيف السرعة حتى في اشد المنحدرت والمنعطفات حدة ، فصرخت فيه ٠

ـ توقف ايها المجنون ٠

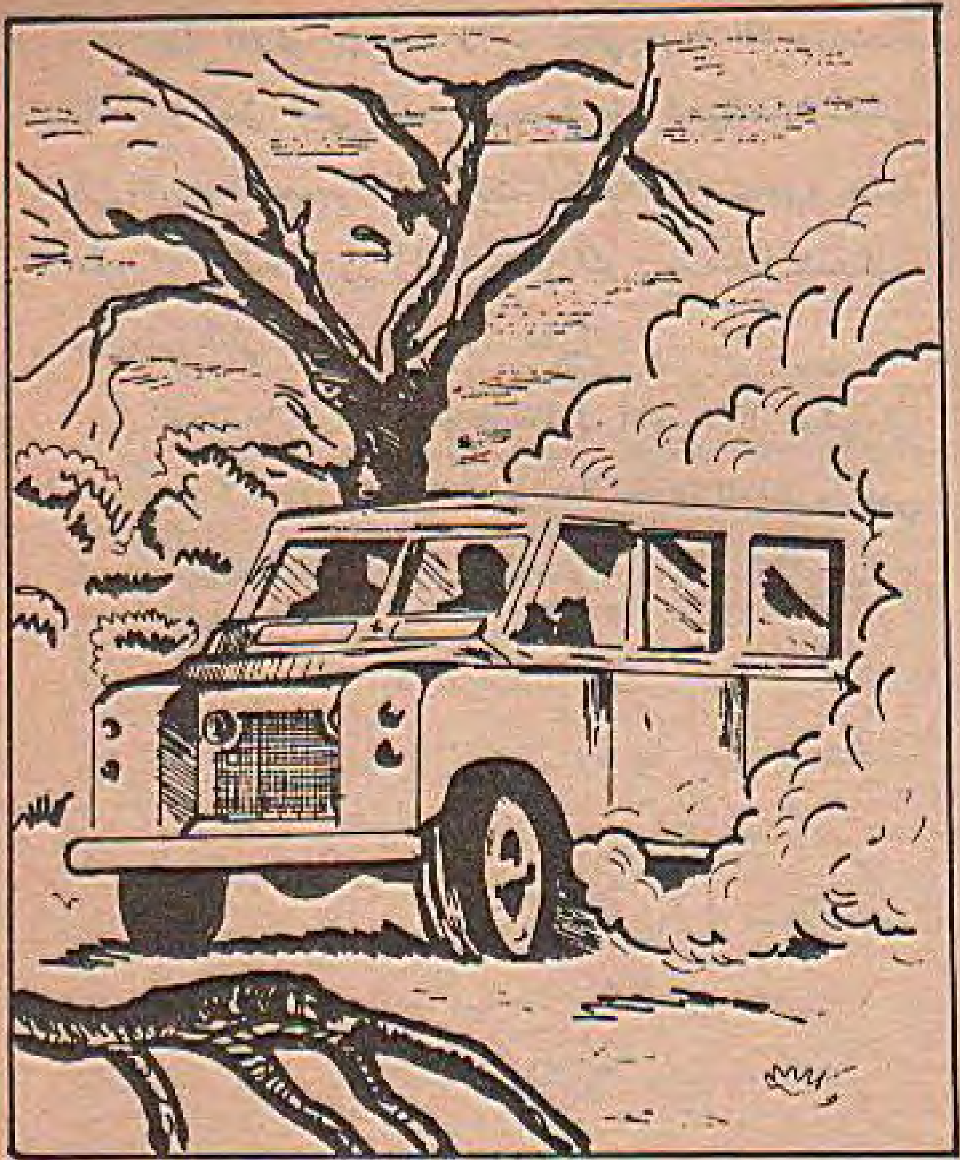
خفف سرعته وقال : الم تقل لي بان اريك مهارتي ٠٠؟!

ـ نعم ولكن لم اقل لك ارحل بنا صوب الاخرة ٠

ـ واحدة بواحدة يا صاحبي ، لا فرق بين الموت بين فكي نمر مفترس والموت تحت حطام سيارة ٠

ـ يا فيلسوفي الصغير ، وعدتك باني لن اجعلك تواجه النمر ٠

ـ بل ساواجهه مثلك ٠



ادار « توني » محرك السيارة وانطلق بسرعة جنونية

ولا ادري من اين واتت توني نوبة الشجاعة تلك ؟ والحق انني ظللت حريصا على اصطحابه معي في كل رحلة صيد ، فقد كنت اجلسه فوق شجرة عالية تتيح له التقاط صور رائعة بينما اكون مستعدا لاصطياد طريدتي التي غالبا ما تكون نمرا .

وعندما لم ابادره بأي سؤال اخر ، قال توني :

ـ لا اريد ان اعطيك فرصة اخرى للسخرية مني سأستخدم (الزوم) للتصوير من مسافة بعيدة .

ـ اتفقنا .

ـ ٩ ـ

في ميهالي لم نجد صعوبة في الوصول الى مكان براكيش . فلقد كانت سيارته تجوب طرقات القرية ، فأمكننا ان نلمحها حال وصولنا الى مدخل القرية فاتجه توني اليها وتوقفنا بمحاذاتها ، وقبل ان نترجل منها كان براكيش قد سبقنا في النزول واتجه الينا حاملا نسخة من جريدة مهرا فبادرنا التحية .

ـ صباح الخير ، يبدو انك قدمت برهانا طيبا على صداقتك يا كوبرت .

ـ أوه .. شكرا اننا نبغي المساعدة فقط يا كابتن .

اشار براكيش الى خيمة تركن على حافة الحقل وقال :

ـ اذن لنذهب الى مكتبي ونتحدث بهدوء .

دلفنا باب الخيمة التي احتوت سريرا صغيرا ومكتبا يضج بخرائط واوراق عديدة متناثرة بينما كانت مطفأة السجاير تتطافح بأعقاب السجاير الامر الذي اوحى لي بان براكيش ظل ساهرا يلعق جراح هزيمته التي لحقت به عندما اجهز النمر المفترس على الصياد المسكين الذي انتدبه للقضاء على النمر الارقط .

اتخذنا اماكننا حول المنضدة فطلب براكيش ان يعد لنا الشاي بينما راح يرطن لنا بمعاناته وعما ال اليه الموقف في ميهالي ، اصغيت اليه بأنتباه فقال لي :

ـ الحقيقة انني لاانكر بانك صياد ماهر يا كوربت ، ولكن الامر مختلف تماما مع هذا النمر ، الذي يفاجئنا دوما من حيث لانتوقع .

قلت مطمئنا :

ـ ساحاول جهدي في اصطياده ، بمعونتك

طبعا ، ويمكنك ان تعدني منذ الان واحدا من رجالك .

هز براكيش رأسه موافقا وقال :

ـ حسنا ، قل لي ماذا تريد منا ؟

ـ اريد معلومات كافية عن كل الحوادث ، وافادات الشهود الذين اتيح لهم مشاهدة ذلك النمر .

أخرج براكيش ملفا ضخما من درج مكتبه ووضعه امامي وقال : في هذا الملف ستجد كل ماتريد .

القيت نظرة عجلى على ما يحفل به الملف من اوراق فلم اجد فيه ما يعينني او يضيف شيئا الى ماسبق وجمعته من معلومات .

سألت براكيش :ـ من كان اخر الضحايا ؟.

قطب براكيش جبينه وغابت أسارير وجهه قبل ان يقول :

ـ أنه الصياد المسكين .

ـ ياللمسكين لابد أنه صياد غر ليس له من

التجارب الشيء الكثير ..

رمقني براكيش بنظرات متعبة وتمتم بصوت منكسر خفيض - للأسف لا .. انه اشهر صياد في الولاية كلها ، لقد هرعنا لانقاذه من براثن النمر عندما بدأ يصرخ لكن الظلام أسهم في فشلنا ولم نلحقه الا وهو في الرمق الاخير .

كنت حذرا جدا في حديثي مع كوربت ولا انكر انني كنت اداريه واتملقه احيانا كي لايشم في حديثي مايمكن ان يريبه فيعدل عن موافقته ، ولم اكن مستعدا لبذل محاولات أخرى كي اظفر بفرصتي الذهبية هذه ، فقلت :

- معك حق ، لابد أنه نمر مستميت .

صفق براكيش يديه وقال بصوت أجش .

- بل هو شبح ياعزيزي كوربت ، اقسم لك بانني اقاتل شبحا ، لقد مشطت الغابة شبرا شبرا

فلم اعثر له على أثر !

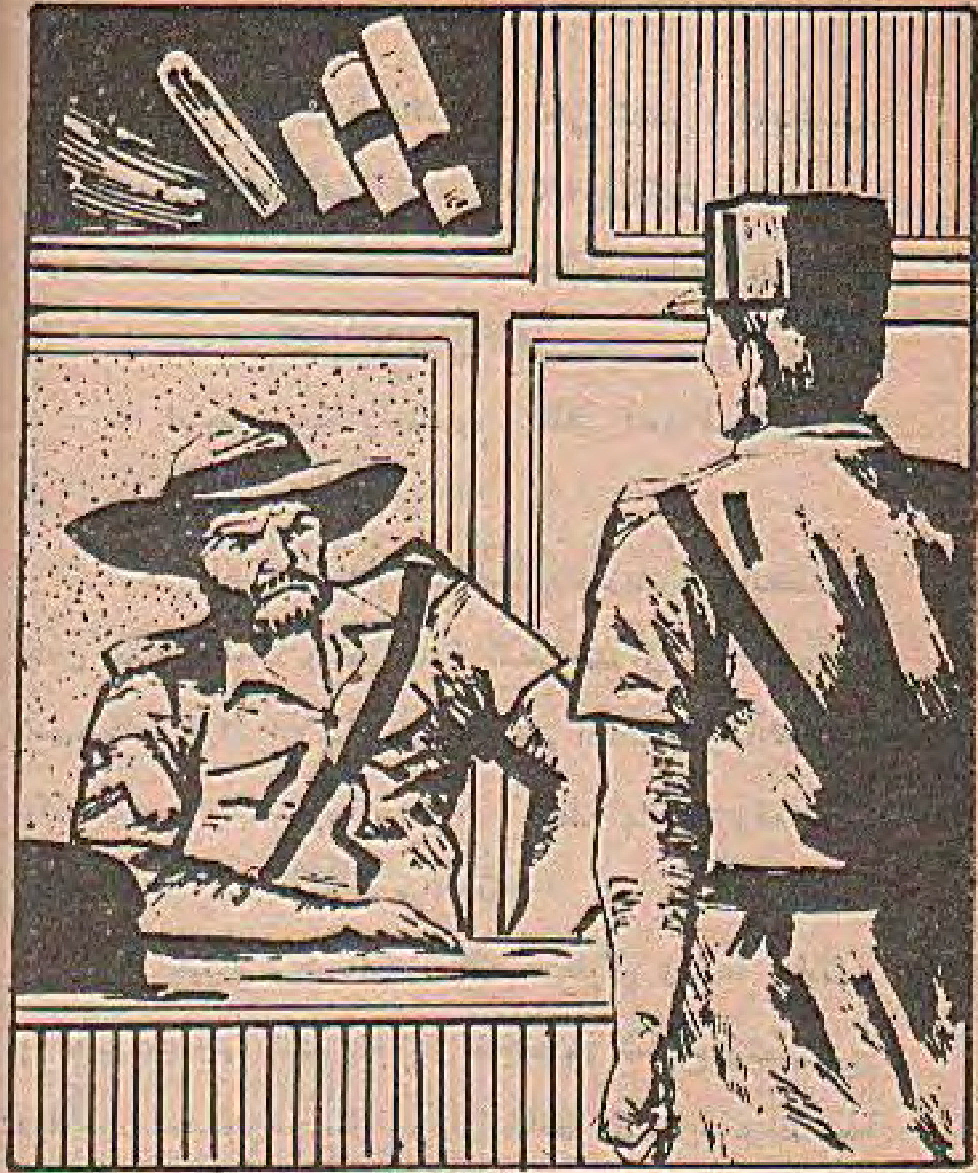
قطع حديثنا وقع اقدام شرطي شاب ، ضرب الارض بقدميه ووقف متسمرا قباله براكيش بعدما ادى له التحية ، فقذفه براكيش بسؤال ساخر .

- هيه ما اخر الاخبار ؟

- ليست سيئة ياسيدي ، فلقد اختطف النمر ثورا هذه المرة .

زم براكيش شفتيه ثم ملا منخريه بالهواء كمن يتشمم شيئا وتلك عادة استطعت ان أرصدها عنده كلما اراد ان ينفجر بسيل من الشتائم وها هما فكاه يتحركان صعودا ونزولا ، أشبه بآلة ، وفمه يطلق رذاذا من الشتائم واللعنات :

- اغبياء ، كسالى ، اللعنة عليكم جميعا ، انتم واهالي ميهالي انهم يتركون ماشيتهم تسرح وتمرح ويلوذون بجحورهم مثل جرذان خائفة مذعورة .والنتيجة



وقف متسمرا قبالة « براكش »

لايتحمله غير المسكين براكيش ، اغرب عن وجهي ايها الغراب ·

لم يكن الشرطي عابئا بشتائم رئيسه التي تعودها ، اما توني فقد ظل هادئا مبتسما ، مما أشعرني بالارتياح ، لانني كنت اخشى ان يحرك توني في اللحظة الاخيرة ويتركني أباشر المهمة وحيدا ، انتظرت حتى هدأ فقلت بثقة :

ـ هذا الثور سيوصلنا الى النمر ايها الكابتن فلا تبتئس · واجهني براكيش بسحنه متجهمة وقال :

ـ ماذا تقصد ؟

ـ نستطيع القيام بعمل مشترك ، دعني أعمل بحريتي ، وأنت تمدني بما احتاج من رجال ومساعدة كلما احتجت ذلك ، فاذا ما فشلنا وهذا احتمال أستبعده فسوف يحسب الفشل علي أما اذا نجحنا فسوف يكون لك فضل كبير في ذلك ، فانا لا أبحث الا عن مقال صحفي أتحف به جريدتي الأمر الذي يبرر بقائي

في بلدكم الجميل زمنا أطول .

كانت الصفقة التي عرضتها على براكيش غير قابلة للرفض بعدما حاولت أن أوحي اليه بمقدار ثقتي في نجاحنا ومقدار انعكاس ذلك على وضعه الوظيفي المزعزع فقال باستسلام كامل .

ـ موافق ، افعل ماتشاء ..

مضى علينا أسبوعان منذ أن بدأنا مهمتنا بشكل مركز ، ولم نعثر على أي اثر للنمر ، ويبدو لي أنه اثر السكينة والصمت منذ أحس بالغابة وهي تعج برجال الشرطة والقرويين المسلحين الذين ظلوا يترددون علينا في خيمتنا التي اقمناها في وسط الغابة وكانوا لايتوانون عن ازعاجنا باحاديث فارغة وثرثرات لاطائل من ورائها سوى اشغالنا عن مهمتنا وافساد خططنا .

غير أن ماجعلني سعيدا هو تطبع توني وتعوده على نمط حياتنا الجديدة فاحجم عن شكواه وبارحته

مخاوفه ووساوسه الى حين .

وبدأ الملل يتسرب الى نفسي وكان ثمة اشاعات بدأت تذاع في ميهالي والقرى المجاورة كان أخطرها تلك التي تدعي بان النمر ليس سوى وهم وغطاء لعصابة شريرة بدأت تفتك بسكان القرية وثمة اشاعة أخرى تدعي بان براكيش قد تمكن من النمر واصابة فلاذ النمر بالفرار لاعقا جراحه ، وكنت استبعد تلك الاشاعات مستندا الى شهادات عدد من القرويين الذين رأوا النمر وهذا ما يدحض الاشاعة الاولى ، أما الثانية فلا يمكن أن يتحرش بالبشر الا في حالتين فهو أما أن يكون نمرا مسنا انهكته شيخوخته فعجز عن مطارده فرائسه من حيوانات الغابة السريعة الحذرة ، واما أن يكون جريحا ، وفي هذه الحالة استبعد حكاية جرح براكيش للنمر والا لماذا اختفى النمر وصبر على جوعه كل هذه المدة ، والاحتمال لاقرب في مثل هذه الحالة ، هو اقدام النمر على عمل انتحاري للحصول

على الطعام دون أن يعبأ برجال براكيش وعصي القرويين وسكاكينهم .

كنت على يقين تام بانني ساكون ازاء نمر مسن، لابد أن يظهر بعد ذلك الغياب ، ولقد ازداد تمسكي بهذه الفكرة بعدما اختطف النمر ثورا قبل اسبوعين ، واذا ما أجهز النمر على الثور كاملا فسيخرج للبحث عن طريدة جديدة .

وفي اليوم الخامس عشر ، كنت عائدا مع توني الى خيمتنا التي تعودنا أن نمضي الليل فيها ، فوجدت بالقرب من الخيمة جمعا من القرويين كانوا بانتظارنا وأبلغوني الخبر السار ، فقالوا :

أن ذلك النمر قد شوهد اليوم وهو يطوف حول القريه ، لم يكن القيام بأي عمل ممكنا ، في تلك الليلة فأعطيت القرويين مصابيح يدوية للاستعانة بها في طريقهم ، وطلبت منهم العودة الى القرية وان يخبروا

براكيش بالايسمح لاحد أن يخرج منها في اليوم التالي .

كانت القرية قائمة على طرف قمة التل الذي اقمت عليه خيمتي في جهة منعزلة بين اشجار متلاصقة ، مما جعلها عرضة لهجمات النمر المفترس ، اكثر من غيرها من قرى تلك الولاية .

- ١٠ -

وفي صباح اليوم التالي تسلقنا انا وتوني طريقا وعرا مملوءا بالحصى ، لم اكن احمل غير بندقيتي ، اما توني فقد علق كاميرته في رقبته وبدأ يتبعني باذعان تام ، اكملنا تسلقنا للطريق الوعر ، ثم هبطنا نحو اخدود حفرته مياه الامطار وأدركت من نظرة واحدة القيتها على مجرى الاخدود ، أن النمر ليس كامنا فيه ، ولكن حركة ما سمعتها قد استنفرت كل حواسي. فالتفت الى توني الذي اشار لي بيده نحو بركه ماء صغيرة جدا ، فوجدت حية كبيرة تقترب لتشرب من ماء البركه ، لفت نظري راس الحية وقد ارتفع عن

الارض مسافة قدمين او ثلاثة فادركت أننا أمام حية من نوع الكوبرا ، ورأيت بوضوح عنقها الاحمر المموه بالاصفر الذهبي ، أما ظهرها فقد كان اخضر اللون تتخلله خطوط بلون العاج ، وقدرت طول الحية بثلاثة عشر قدما ، وكانت معلوماتي عن الطبيعة تنثال على مخيلتي فالتقطت منها مايفيد بان الكوبرا حيه شرسة تهاجم عندما تنزعج وتتحرك بسرعة خاطفه. ولكن مكانها الذي كانت فيه لم يتح لي وضعا مريحا لاقتناصها ، غير انني لم اشأ ان اطلق عليها رصاصة من بندقيتي كيلا اقلق النمر الذي كنا نبحث عنه .فتناولت حجرا وجعلت أرقب حركات الحيه ، شربت الماء ومدت لسانها الطويل ، ثم خفضت رأسها وادارت ظهرها نحوي ، وانسابت صاعدة الجبل من الجهة المقابلة .

التقطت حجرا من الارض والتفت الى توني وأشرت عليه بالثبات في مكانه خلفي ، وعدم التفوه

ولو بحرف واحد . ثم رميت الحجر بكل ما املك من قوة ، فاصاب رأس الحيه ، وكانت الضربة كافية لقتل اية حية لخرى ، اما هذه فلم تتأثر بها بل التفتت الي مسرعة ووثبت نحوي ولحسن الحظ اصابها حجر ثان وهي في الطريق الي ، توقفت مدهوشا لمصدر ذلك الحجر ، فالتفت الى توني الذي رأيته يحمل حجرا اخر وهو يصيح به :

ـ ابتعد ياكوربت ، ساصيبها ثانية .

وفعلا فقد اصابها توني بحجر ثالث اخمدها بمكانها ، ولم اكن وقتها فرحا بقتلنا الحيه بمقدار فرحي بما قام به توني الذي بدا لي انه يتخلص من احساسه بالخوف والتردد .

في الصباح التالي درنا حول القرية بعدما تفادينا اللقاء ببراكيش كي لانخضع الى مزيد من الاسئلة والاستجوابات ، وكي لانتيح له فرصه الشماته بنا . عثرنا على اثار النمر تنطبع داخل حقل محروث

يشرف على بيوت القرويين الذين امتطاهم الخوف ،وهم يحملقون في تلك الاثار ، التفوا حولي وكأنني منقذهم الوحيد والحق انني كنت ارثي لحالهم فان ماحل بهم كان كارثة ، بعدما تفنن ذلك النمر الشبحي كما اسماه توني في اصطيادهم واحدا واحدا فبدا وكأنه يلعب معهم لعبة لايفهمون من قواعدها شيئا طمأنت القرويين ووعدتهم بالعودة اليهم في اليوم التالي وقفلنا عائدين الى خيمتنا القائمة على بعد حوالي اربعة اميال من القرية ، وليس اصعب من السير بين الاشجار في طرقات مهجوره . وفي مكان يمرح فيه نمر من اكلة البشر ، ان ذلك يقتضي كثيرا من الحيطه والحذر وهذا ما كان ينبهني اليه توني دائما فالتفت اليه قائلا :

ـ لاتخف ياعزيزي فالنمور تخاف مني ، انها تشم في رائحه الصياد ، اما انت فلاتشم منك سوى احماض التصوير ، فاحذرها ياصديقي .



التفوا حولي وكانني منقذهم الوحيد

ـ كفاك مباهاة ايها المغرور ٠

ـ لست مغرورا ، فانا تعرضت لنمور عديـــدة وخرجت منتصرا عليها ٠

ـ كانت نمورا يائسة ، اما هذا فشيء مختلـف تماما ٠

ـ لافرق عندي ، كلها نمور ٠

كنت اعرف ان توني على حق في تحذيـره ، لذا كنت حذرا وما مزاحي مع توني الا محاولة لزيـادة ثقتـه واطمئنانـه ، كانت حواسي كلهـا يقظة متوفـزة لانني على يقين تام بأن اقل خطأ يرتكبه الصياد يجعله صيدا سهلا للوحوش ٠

كان سكان القرية في انتظارنا منذ الصباح الباكر وعلمت منهم ان النمر قد افترس عجلا صغيرا في الليلة الماضية وجر جثته الى قمة الجبل ثم هبط بها الى واد تكتنفه الاشجار في الجهة الشمالية للتل ، عندهـــا تاكدت تماما من صحة استنتاجي فان الثور الـــذي

افترسه النمر قد نضب لحمه وهنا هو يعاود الكرة للحصول على فريسه اخرى تسكت جوعه اياما اخرى

ووجدت ان الحكمة تقضي بالا ننحدر الى قاع الوادي متتبعين اثار النمر فدرنا من الناحية الاخرى ودخلنا الوادي من الجهة المقابلة وشققنا لانفسنا انا وتوني طريقا بين الاشواك والحجارة المتراكمة نحو المكان الذي كنا نأمل فيه أن نجد جثه الثور وربما النمر بنفسه أيضا ٠

سرنا طويلا وبذلنا مجهودا كبيرا وجلسنا لنستريح ،فأخرج توني علبة سجائره واشعل لفافة اخرى لنفسه بينما راحت اصابعه تعبث بأزرار الة التصوير والتي ظلت تلازمه طوال الرحلة فهي مبرر بقائه الوحيد معي ٠ غمست ساقي في ماء الغدير فاحسست ببرودة لاذعة تتسل الى جسدي رويت ظمأي من ماء الغدير ، ثم نهضت فتبعني توني من غير ان يتفوه بحرف

واحد ، وبدأنا نواصل بحثنا وفجأة وجدنا أنفسنا أمام جثة العجل الصغير التي مزقها النمر ، كانت الجثة ملقاة على بعد ثلاثين ياردة من التل ولكننا لم نجد اثرا للنمر ٠

ـ لابأس ٠ قلت في نفسي ، اننا نسير في الطريق الصحيح نحو طريدتنا ٠

اقتربت حذرا واعتليت صخرة مشرفه على الجثه والقيت نظرة حولي ولبثت جامدا في مكاني ، شعرت بان النمر ينظر الي نعم شعرت بذلك فالصياد لايرى بعينيه وحدهما بل بغريزته التي نبهتني الى وجود النمر على مقربة مني ٠

غمزت توني لان يجمد في مكانه والايتحرك قيد انملة ، وتلفت حولي ، وعلى مسافة عشرين مترا رايت كومة من العوسج كانت اطرافها تتحرك ، ثم خرج النمر منها وانطلق يعدو في سفح التل نحو القمة عدوا سريعا ، اطلقت رصاصتي عليه فسقط على

ظهره وتدحرج الى قاع الوادي هادرا مزمجرا مكتسحا في سقوطه اكواما من الحجارة والاتربة ، وفكرت بسرعة فيما انا فاعل عندما يصل في تدحرجه الىقرب المكان الذي كنت فيه ، اعتقدت أن الرصاصة قد اصابته في العمود الفقري فقصمته ، ولكنه نهض على قوائمه واستانف العدو على سفح الجبل واتضح لي انه يعدو على ثلاث قوائم ولم اتمكن من اطلاق الرصاصة الثانية عليه ، فاختفى وراء أجمه كثيفة ولم يكن من الحكمة أن الحق به خلالها ، وادركت ان رصاصتي قد اصابته ثم اصطدمت بصخرة وعادت لتصيبه في فكه ، والاصابتان مؤلمتان بلاشك لكنهما غير مميتتين هرع القرويون اثر سماع رصاصتي الى قمة التل وشعروا بخيبة الامل عندما لم يجدوا النمر مجندلا أمامي .

مساء وفي خيمتنا النائيه جلسنا نحتسي اقداح الشاي بعد عشاء دسم أحسن تونى اعداده ، وكنا قد

اتفقنا على خطة عمل محددة ليوم غد حرصت فيها على أن ارسم لتوني دوره كاملا ، لكي لاندع اي مجال للخطأ .

خدش هدوء الليل صوت محرك سيارة ، ولم يكن من العسير علينا أن نخمن من القادم ، فلا أحد غير براكيش يمكنه التنقل داخل الغابة بسيارة مسلحة وما هو صوته الاجش يسبقه الينا .

ـ هيه كوربت امازلت حيا ؟!

رفع باب الخيمة واطل بقامته المديدة ووجهه المتغضن الذي لم يذق النوم منذ مدة طويلة مددت يدي لالتقاط كفه المدودة نحوي :

ـ يقال انك أصبت النمر .. هل هذا صحيح ؟

ـ نعم فيما أعتقد ..

ـ الم تقتله ؟

ـ لست متأكدا بعد .

رسم على شفتيه المبتسمتين ابتسامة ساخرة

وقال :

ـ وتدعي بانك صياد ماهر .

اردت ان ابعده عن هذا الموضوع فقلت :

ـ يبدو انك متعب هل لك في قدح من الشاي .

هز رأسه موافقا ، فقدم له توني قدح شـــاي ساخنا راح يرشفه بجرعات سريعة متتابعة غير مبـال بسخونته . فبادره توني السؤال ..

ـ ما هي اخر الاخبار عندكم ؟

اجاب براكيش ـ ليست سيئة ـ لا ضحايا مـن البشر منذ ان جئتما الينا :

عند ذاك زالت ريبتي في زيارة براكيش المفاجئة فقلت له :

ـ تأكد ان الغد سيأتيك بانباء سارة .

ـ اوه عظيم لا اعرف لماذا بدأت أميل اليكما مع انني لا أطيق رؤية الصحفيين اطلاقا .

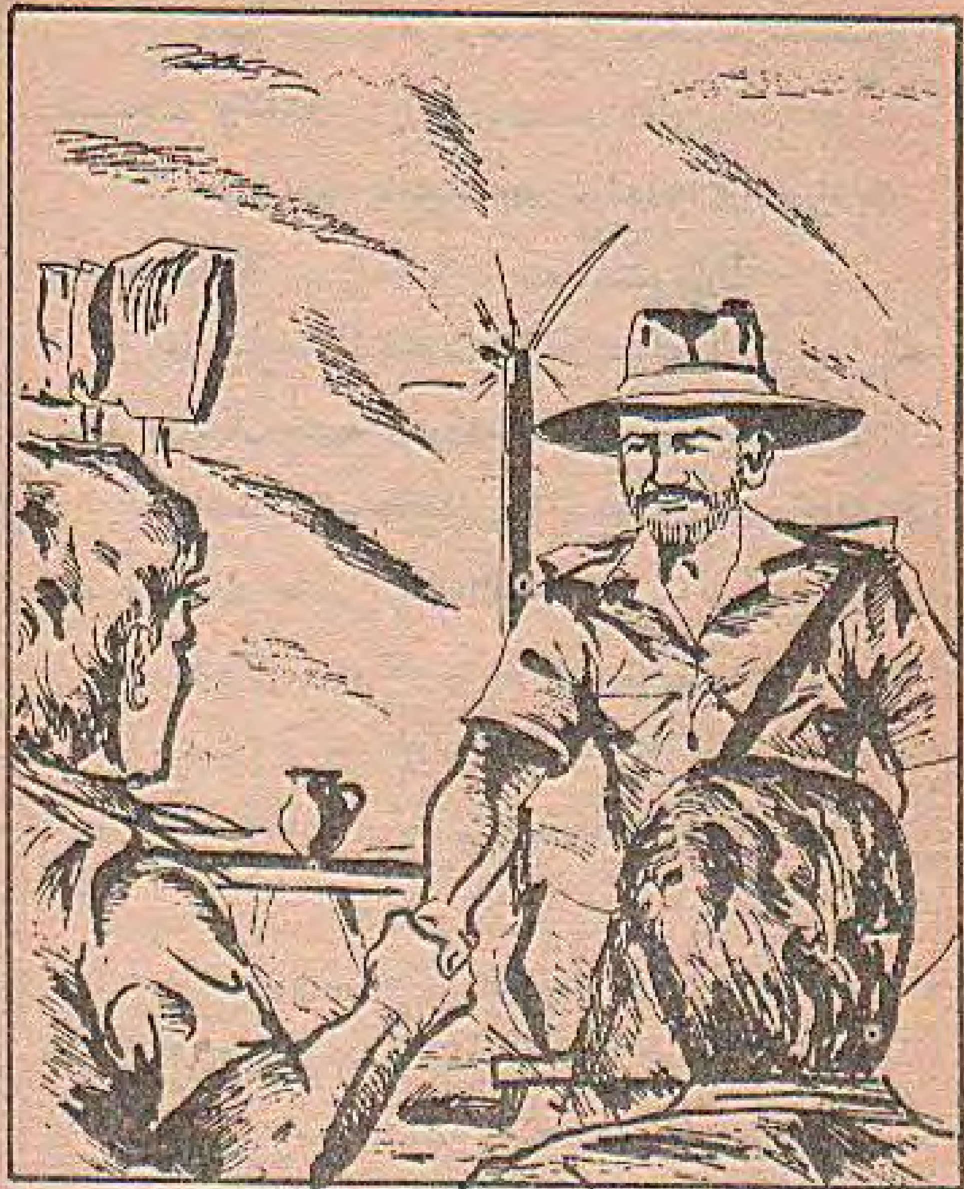
ابتسم توني وقال :

ـ لانهم لايرون في رجـال الشرطـــة ســـوى السلبيات والفشل .

ـ نعم ، نعم ، فعندما نصيب نجاحا فانهم يلوذون بالصمت .

اما اذا فشلنا فالويل لنا من سياط السنتهم . ثم نهض براكيش من مكانه ومد يده لنا مصافحا وقال :

ـ اسف لازعاجكما ، انتما بحاجة الى الراحـة بعد يوم عمل مضن ، الى اللقاء ..



نهض « براكش » من مكانه ومد يده لنا مصافحا

-١١-

بكرنا في النهوض صباح اليوم التالي ، وكنا مصممين على اصطياد النمر في ذلك اليوم مهما كلف الامر ، تمنطقت بحزامي الذي تدلت منه حربتي الحادة ، وحملت بندقيتي على كتفي وتبعني توني حاملا كاميرته وزمزمية ماء صغيرة ، وبدانا نقطع الطريق الى حيث وجدنا جثة العجل يوم امس . وعندما نظرت الى الجثة صحت :

- توني ، النمر لم يمت بعد .

- وكيف عرفت ذلك ؟!

صحت - انظر .

ثم اشرت الى بقايا الجثة وقد احدث النمر في جانبها نهشة كبيرة لم تكن يوم امس ثم اضفت :

- يبدو ان النمر زار الجثة ليلة امس واكل منها ·

سأل توني - وما العمل الان ؟

قلت بثقة - الوسيلة الوحيدة لقتل النمر هي البقاء على مقربة من جثة العجل حتى يعود اليها ·

تلفت حولي ، فوجدت شجرة كثيفة تطل على مكان الجثة · فاشرت اليها - سيكون مكانك هنا فوق الشجرة ، انه مكان ملائم للتصوير كما اظن ··

اومأ توني براسه موافقا ثم بدأ يتسلق الاغصان واتخذ له مكانا ملائما بينها ، بعدها طرق سمعي صوت ليس غريبا على انني انها همهمة النمر وحسبما اعرف ان النمر لا يهمهم هكذا الا اذا كان يبحث عن انثاه او كان جريحا متربصا بطريدته ، ولم يكن صعبا على صياد مثلي ان يقلد همهمة النمر فيخدعه ليظن بان هناك نمرا اخر يريده ليقترب منه فيطلق عليه الرصاص من

المخبأ الذي يكون كامنا فيه ، وفي هذه الحالة يجب على الصياد ان يكون متأهبا لاطلاق الرصاص من مسافة قريبة جدا ، وقد لا يرى صيادون اخرون رأي هذا لكنني جربته مرارا وكان النجاح حليفي ، غير انني هذه المرة لم اوفق الى حمل النمر على الاقتراب مني ، اذا لم يستجب للهمهمة التي حرصت كثيرا على ان تاتي متقنة ·

- ١٢ -

كانت الدقائق تمضي متسارعة وانا اقلب افكاري راسا على عقب بحثا عن خطة اخرى توصلني الى النمر او توصل النمر الي ، لا فرق · واخيرا وقع اختياري على شجرة مقابلة للشجرة التي يكمن فوقها توني بحيث صارت جثة العجل في المسافة الفاصلة بين الشجرتين ، وكنا مستعدين تماما لقضاء الليل ساهرين فوق شجرتينا ، وكنت قد طلبت من رجال براكيش ان ينادونا عند شروق الشمس فاذا اجبتهم بتقليد صوت النمر فعليهم ان يظلوا في اماكنهم اما اذا لم اجبهم فعليهم ان يهرعوا الينا باحثين عنا ·

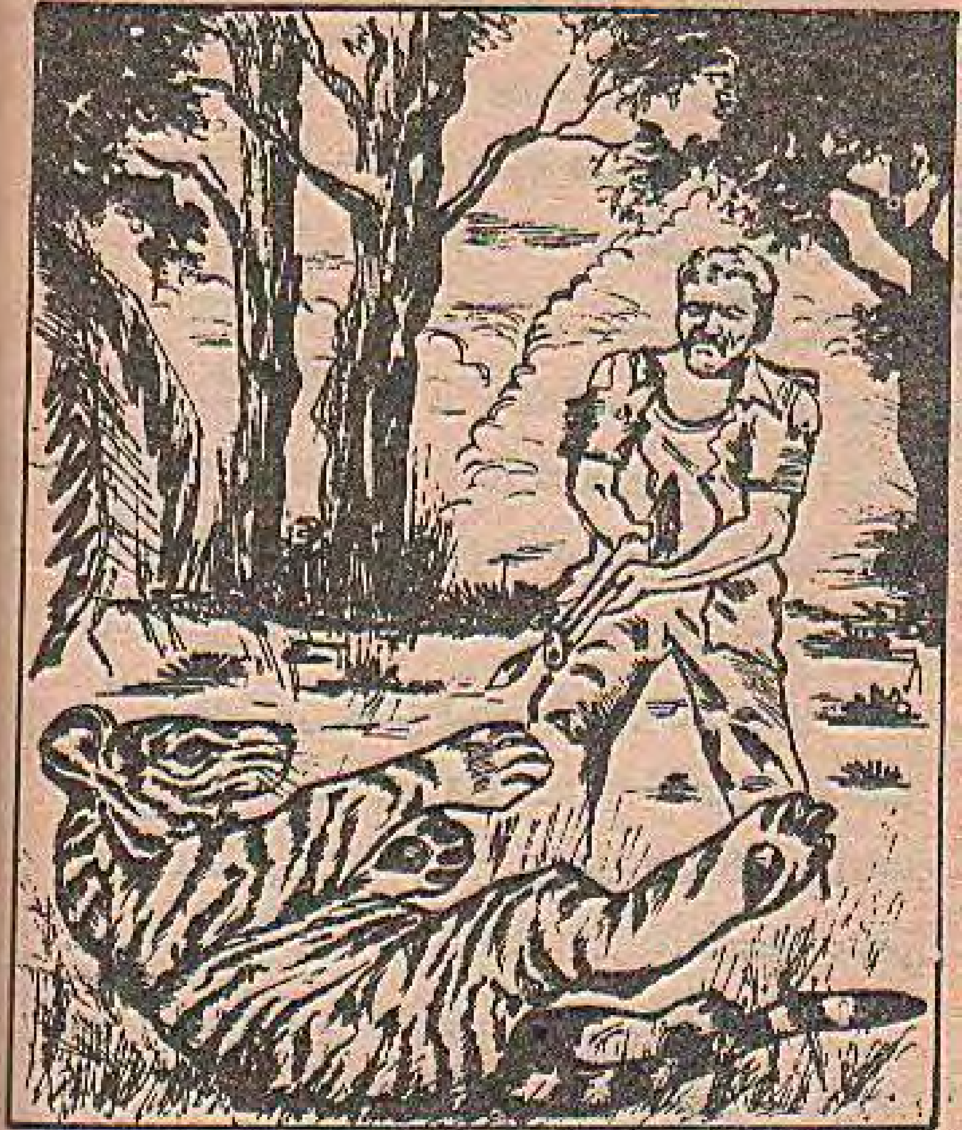
نظرت الى توني فوجدته نائما فوق الشجرة ، ولم اشأ ان اوقظه فان موعد المنازلة لم يحن بعد ، ولقد اكسبتني تجاربي قدرة على النوم فوق اغصان الاشجار فلم يزعجني جلوسي على ذلك الغصن الذي يرتفع عن الارض حوالي ١٠ اقدام وعلى مسافة ثلاثين قدما من قاع الوادي حيث يوجد النمر مثلما خمنت · لكن التعب والسهر كانا قد اجهزا على كل تجاربي فبدا النعاس يغزو عيني فركنت بندقيتي بين غصنين بحيث تكون في متناول يدي عند اي طارىء · وغفوت ، غفوة لن انساها ابدا ولن اكررها مطلقا ، فقد كادت تكلفني حياتي · بعد اغفاءة لاعرف مداها ايقظتني منها صرخة قرد على شجرة قريبة من شجرتي ، فجفلت في مكاني ومددت يدي وانا نصف نائم لالتقط بندقيتي ، لكنها سقطت من يدي وتكومت ارضا تحتي بينما كانت همهمة النمر قريبة جدا مني ورايته كان يتقدم نحوي بينما كان توني يصرخ ·

- ماذا فعلت بحق الشيطان ؟

ويبدو ان صراخ توني قد نبه النمر اليه فالتفت هذا اليه وراح يهرول نحوه ، وبدأ ينشب مخالبه في ساق الشجرة ، محاولا التسلق الى حيث يجلس توني ، وفي حومة اضطرابي لم اعد التقط استغاثات توني وتوسلاته، ولعنت في سري تلك اللحظة التي غلبني فيها النوم وكل حظي السيء الذي خذلني في اللحظة التي كنت اترقبها منذ زمن خفت على توني من ان يكون قد مات رعبا وهو يرى النمر تحته فاتحا شدقيه متهيئا لابتلاعه ، فمددت يدي الى حزامي وعزمت على امر كان هو الجنون بعينه ، ولم يكن امامي من بد غير مصارعة النمر وجها لوجه ، اشهرت مديتي الحادة وقفزت من مكاني وانا اطلق صيحة غاضبة نبهت النمر الي فالتفت نحوي ثم اقعى لحظة على قائمتيه الخلفيتين وزأر بصوت تنخلع له القلوب ثم قفز نحوي وفي خطوتين وقبل ان يثب نحوي انبطحت على ظهري وجعلت النمر

يعبر من فوقي فيما راحت مديتي تنغرز في بطنه ، سحبتها بسرعة ونهضت من مكاني قبل ان يستدير ثانية . ولم تكن طعنتي مميتة قطعا ولكنها شلت نصف حركته وجعلته يخور غضبا ، انحرفت يسارا وقبل ان يثب النمر نحوي ثانية عاجلته بطعنة اخرى فتكوم فوقي وبدأ يحاول انشاب مخالبه في وجهي لكن طعنتي الثالثة كانت قد اصابت منه مقتلا نهضت وهرولت نحو بندقيتي . التقطها ثم افرغت رصاصها في رأسه وكانت حركة اطرافه تخفت شيئا فشيئا . حتى سكتت نهائيا .

وقفت على قدمي بصعوبة كان الدم يسيل من وجهي اما ملابسي فقد تسربلت هي الاخرى بدم النمر الذي اختلط بدمي ، لم اكن في تلك اللحظة استطع ان اتصور بانني افلت من مخالب النمر ، مسحت وجهي بكم قميصي وتذكرت توني ، يا الهي ماذا حل به ؟! . هرولت نحوه فوجدته متكوما فوق الشجرة بينما كانت الكاميرا تتدلى من رقبته ..



وافرغت رصاصها في رأسه

صحت به ـ توني .. توني

فلم أجد جوابا ، ولحسن الحظ فقد كان صوت الرصاص قد اجتذب الي رجال براكيش فخفوا مسرعين نحو مكاني ، وما ان وجدوا النمر متكوما ارضا حتى اطلقوا صيحات هستيرية تنم عن الدهشة والاعجاب طلبت اليهم ان ينزلوا توني من الشجرة ، فوجدته غائبا عن الوعي فزمجرت في نفسي ـ اللعنة ، ياليته مات .

لانني وجدت الفيلم سليما لم يمس داخل الكاميرا ، وهكذا اضاع علينا توني فرصة رائعة لتسجيل صراعي الدموي مع النمر .

حاولت ان اعيد توني الى وعيه ، رششت وجهه بماء ثم ضربته على خده ، الحمد لله ها هو يفتح عينيه وينقلهما في وجوه الرجال المتحلقين حوله . وما ان التقت عيناه بعيني ي، حتى صرخ :

ـ يا الهي ..

ثم غاب عن الوعي ثانية .

ـ تمت ـ